

لقاء الوزير بالدعاة بالتوعية بالحج

٦-١٢-١٤٢٨ هـ

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية (١)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، سماحة شيخنا ووالدنا وموجهنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، أصحاب الفضيلة العلماء، أيها الإخوة المشايخ، طلاب العلم، أيها الإخوة المشاركون في أعمال هذه الوزارة التوعية الإسلامية في حج هذا العام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وإني لأحمد الله جل جلاله حمدا كثيرا يكافئ ما أعطى -ونستغفره عن التقصير- ويوافي ما أنعم، ونسأله المزيد من فضله وكرمه.

أيها الإخوة هذا الحفل السنوي الذي تُقيمُه الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج بإشراف من وكالة الوزارة لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد نرى أنه مهم؛ ووجه أهميته أن أثر هذا الاجتماع ظهر لنا في سنوات طويلة مضت، لهذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ وسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ كانا يحرصنا على حضوره سنويا ويلتقون بالأخوة المشايخ وطلاب العلم وأعضاء التوعية ويرشدونهم ويجيبون عن ما يسألون عنه.

واليوم يشير هذا إلى أن ارتباط التوعية الإسلامية في الحج إداريا وتنظيميا ودعويا وإرشاديا بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ لكن من حيث الفتوى ومن حيث ما يصار إليه من الأقوال حين الاختلاف، أو ما ينبغي لطالب العلم المشارك في التوعية الإسلامية في الحج أن يأخذ به فإن مرجعه إلى سماحة المفتي وإلى من معه من أهل العلم في هيئة كبار العلماء وفي اللجنة الدائمة للفتوى، وخاصة -أيها الإخوة- في مسائل النوازل، فإن النازلة إذا نزلت جُمع لها أهل العلم حتى يصدر الناس عن تقوى من الله والله جل وعلا.

فإن الفتوى والقول في المسائل لا بد فيه من تقوى لله جل وعلا، ولذلك فإن المصير إلى الأقوال التي عليها يجتمع عليها أكثر أهل العلم في هذا العصر في النوازل هو الأقرب إلى تحقيق التقوى في إفتاء الناس وفي بيان ما يرشدون إليه.

وهذا الاجتماع السنوي يؤكد هذه المعاني بأن مرجع أعمال الدعوة وارتباط العلم وما يفتى وما يجاب به الناس هو ما يصدر عن المجامع العلمية في هذه البلاد المباركة، زادها الله توفيقا وحماها من شر الأشرار، وكيد الفجار، ومن يتربصون بها الدوائر ليل نهار.

أصحاب الفضيلة أعرض لأمرين شرعيين وأمرين إداريين:

أما الأمر الشرعي الأول فإنه من مشكاة قول النبي ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». وقوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه».

وعند علماء الأصول - كما هو مقرر عند الجميع - أن هذا يقتضي الظهور في العموم، فيشمل ما يدخل فيه الرفق: من الأقوال والأعمال والأخلاق في عمل المسلم بعامة، وفي عمل طالب العلم والداعية، وفي عمل العالم، وفي عمل ولي الأمر.

فإن الذي عمل بذلك هو نبي الإسلام ونبي الرحمة محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؛ عمله سلوكاً وقولاً وعملاً، بل أوامره - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ونواهيه من مشكاة الرفق بهذه الأمة، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبذلك كان متوجّهاً علينا جميعاً، وأن يكون الرفق ديدننا، وأن يكون الحلم معنا، والرفق يستصحبه المحجّب على الأسئلة، يستصحبه الواعظ، يستصحبه الداعية، فإن الله يعطي عليه من التأثير في الأقوال والأعمال ما لا يعطي على غيره من العنف أو ما يظهر للمرء أنه أكثر تأثيراً.

ولهذا كانت كلمات النبي ﷺ تعدّ، وليست كثيرة فتُمل، حفظت فنقلت، وحييت بها القلوب؛ بل حييت بها الأمم والبلدان شرقاً وغرباً.

الرفق نحتاجه في الحج أولاً فيما بيننا حتى نكون أمة واحدة، أمة طلبة العلم والدعاة، فإننا إذا كنا مترفقين فيما بيننا متحابين فيما بيننا كانت دعوتنا صالحة بإذن الله وسدّد بعضنا بعضاً.

والأمر الثاني أن يكون الرفق فيما نأتيه من الأقوال فإن الناس الذين يسترشدون بنا أو تلقون عليهم المواعظ يحتاجون إلى كثير من الرفق حتى في التعبير عن حكم بعض المسائل، فإن التعبير عن حكم بعض المسائل إذا كانت عبارته رفيقة كان أدعى للقبول سيما مع هؤلاء الذين يأتون من شرق البلاد وغربها من المسامين ممن يحتاجون إلى صبر وتؤدة وحلم، ويحتاجون إلى ترفق في الأقوال والأعمال معهم.

فالتّهرّ ليس من صفته الداعية، والصبر من صفته، والحج يحتاج إلى التحلّي بكثير من الصبر والبعد عن أسباب الانفعال ونهر الناس؛ لأنه قد يُنهر السائل إذا أخطأ أو إذا قال كلاماً أو إذا ناقش فلا تدري ما سيكون الأثر إذا نهرته، وإنما الذي ينبغي هنا أن يكون المرء رفيق حليماً متأنياً.

أيضاً فيما يكون في المواعظ والكلمات والمحاضرات، فإن الرفق فيها فيما يقال للناس في اختيار الموضوع في عدم تكليف الناس، في فهم ما يقال فوق ما يطيقون، ليست الكلمات في المساجد وفي المواعظ، ليست في مستوى ما يقال في الجامعات، أو يقال في مجالس أهل العلم وطلبة العلم، وإنما يراعى ضعف حال المستمعين فيُرفق بهم حتى من حيث اللغة، حتى من حيث تقريب المسائل، ولا يذهب إلى أشياء بعيدة يصعب عليهم فهمها أو توقعهم في أشد مما كانوا عليه.

ولذلك كان اختيار الموضوع مطلوباً الترفق فيه، وكذلك عرض المسائل، ولهذا قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ فيما علقه في «صحيحه» عند قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَعْلَمَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: الرباني الذي يعلم الناس صغار العلم قبل كبارهم.

ليس المجال في الكلمات وليس المجال في المحاضرات أن يقول المرء ما يعلمه كما يلقي درساً أو

كما يلقي محاضرة في جامعة.. أو ما أشبه ذلك، ليس كذلك؛ بل يتفرق بالعباد ويوصل لهم المعلومة، ويستحضر تقوى الله جل وعلا في أنه في هذا المقام داعية مؤثر ينبغي له أن يرعى وسيلة التأثير.

أما الأمر الثاني الشرعي فهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «خذوا عني مناسككم لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا»، (خذوا عني مناسككم) تعني الاستمساك بالسنة في الحج، تعني أن يكون المنسك الذي هو الحج بأركانه وواجباته ومحافظا عليه، وأن يكون مطلوبا منا ألا يصرف الحج عما سنه رسول الله ﷺ وأخذ عنه، فواجباته وأركانه وشروطه على اختلاف العلماء فيها لكن الحج له هيئة، الحج له صفة، فإذا ذهبت الفتوى أو ذهب القول إلى إخراج الحج عن صفته، أو إلى الأخذ برخص المذاهب فإنه يصير معنا صفة جديدة لا علاقة لها بـ«خذوا عني مناسككم».

ونعلم هنا أن الذي قال: «خذوا عني مناسككم» عليه أفضل الصلاة وأفضل السلام هو الذي قال: «افعل ولا حرج»، وهو الذي سئل كما في حديث أسامة بن شريك المعروف في «سنن أبي داود» قال: سعت قبل أن أطوف، قال: «اسع ولا حرج».

فالأخذ بالترخيصات الشرعية والتيسير وتطبيق قاعدة المشقة تجلب التيسير بشروطها المعتبرة عند أهل القواعد والأصول، هذا من «خذوا عني مناسككم» فبعض الناس يظن أن الترخيص والتسهيل فيما يقوم عليه دليل شرعي أنه يخالف الأصل في «خذوا عني مناسككم» فهي تشمل الأخذ بالسنة، وتشمل الأخذ بالرخصة المعتبرة شرعا بدليلها وقواعدها.

(المشقة تجلب التيسير) قاعدة شرعية عظيمة والله جل وعلا يقول في كتابه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا فرق بين ما يأخذه العالم المجتهد في الترخيصات، وبين ما يأخذه من يرخص بدون وجه حجة شرعية ولا أصل يُستند عليه لا من قاعدة ولا من أصل من كلام معتبر لأهل العلم. فإن التيسير اليوم أخذ مأخذا واسعا، والتيسير مطلوب؛ لأن النبي ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وقال: «ما لم يقل إثما» وقال في الحج كثيرا «افعل ولا حرج»، «ارم ولا حرج»، «اسع ولا حرج» وأشبه ذلك.

وهذا إنما يعيه أهل العلم المتحققون فيه، ففرق ما بين الأخذ بما دلت عليه الأدلة الشرعية في هذا المقام المهم والتيسير على الناس والحجاج، وما بين من يأخذ بها دون حجة إلا أنه يريد التسهيل فقط. ومعلوم كما قرره أهل العلم في شرح القواعد والأصول وفي التفسير وشروح الأحاديث من ما قرره من أن المشقة لا بد منها في العبادة، فمن رام في العبادة أن ينفي كل نوع من المشقة فإنه رام صرف العبادات عن وجهها، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- لعائشة: «إن أجرك على قدر نصبك»، فالنصب لا بد منه، والصفة الشرعية لا بد فيها من نصب، كالصيام فيه نصب، والحج على هذا النحو في نصب ومشقة.

فإنه ليست كل مشقة أتى الشرع بنفيها؛ بل هناك مشاق اعتبر الشرع أن يكون التخفيف فيها مطلوبا.

ولذلك هنا لابد لنا من أن نعي هذا الأصل العظيم وهو الاستمسك بالسنة والأخذ بالتيشير والجمع بينهما صنعة أهل الاجتهاد الذين يصار إلى قولهم.

وقد ذكرت عدة مرات في هذا المقام أن كثيرا من أهل العلم ذكروا أنه بعد وقوع المسألة فإن على المفتي أن يخفف على السائل في الحج، وقد نص على ذلك طائفة من المالكية كما في كتاب «المعيار المعرب» وكما في بعض شروح ابن رشد، ونص عليه من علمائنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله تعالى ورحم الجميع.

فإذا وقعت المسألة فإن التيسير على المستفتي والمسترشد مطلوب، لا تشق عليه؛ لأنه فعل شيئا، وربما كان في عادة الفعل في تكراره مشقة كبيرة في ذلك.

ففرق في هذا المقام بين الإرشاد الأول وبين الإجابة بعد أن تقع المسألة في ذلك، وهذا صنيع كثير من أهل العلم في ما يُستفتون فيه أو يستفتون عنه.

أما الأمران الإداريان

فالأول أنني أشكر لجميع الإخوة الذين استجابوا لاختيار هيئة الحج لأسمائهم في التوعية الإسلامية للحج، ومعلوم أن المشاركة فيها عنت وفيها مشقة ومعاناة الأمور والإجابة والإرشاد والمحاضرات والمواعظ، فلجميع منا الشكر والتقدير، وأسأل الله جل وعلا على جهدهم مقدر منا معنويا ودعاؤنا أن يهبهم الله جل وعلا القبول في الدنيا والآخرة.

والتوعية الإسلامية في الحج - كما سمعتم - لها أكثر من خمسة وثلاثين عاما، وهذا يقتضي أن تخضع لتطوير إداري جاد، وهذا الذي أحببت إخباركم به في السنة القادمة فإنها سيكون هناك دراسات متنوعة لتطوير التوعية الإسلامية في الحج هيكليا وإداريا وتقنيا، وتوسيع أعمالها وربطها بأشياء كثيرة، وربما إن شاء الله تعالى ننهي بعضها في السنة المقبلة إن شاء الله تعالى.

وهذا لخدمة المشاركين في التوعية ثم لنحصل على أعلى مستوى من الخدمات.

وباسمي وباسم جميع الإخوة المشاركين نشكر الإخوة المشاركين في التوعية الإسلامية الإداريين نشكر لكم جهدكم في ذلك، ونطلب التسديد في هذا الأمر.

قد وزعنا كما عمنا عدد من الإخوة استبانة على ٣٥٠ من الإخوة وجاءتنا الأجوبة فيها، ونسقت الأجوبة والحقيقة كانت النتيجة شفتها أمس الضحى كانت النتيجة غير مرضية، فتفاجأنا بهذا التنوع من الأسئلة كيف يكون المستوى بهذا القدر.

ولذلك نعد الإخوة المشايخ أن نرعى هذا الأمر إن شاء الله بحسب الاستطاعة وأن يكون هناك تطويرا نوعيا بإذن الله تعالى.

ثم إنني لأشكر في هذا المقام سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز حفظه الله على جهده الكبير معنا، وتسديده لنا، وعمله، وحضوره في كل مناسبات الدعوة، الدعوة التي تمثلها وزارة الشؤون الإسلامية وهذا كررناه كثيرا، الدعوة لا تمثلها وزارة الشؤون الإسلامية فقط، وزارة الشؤون الإسلامية تمثلها

كواجهة ظاهرة؛ لكن الدعوة هي حراك لكل طالب العلم يريد رفعة الحق ونصرتة والتقليل من الشر واضمحلال الباطل، هذا أمر علينا جميعاً - سواء كانوا في المؤسسات الرسمية أو كانوا في المؤسسات الشخصية التي يقيمها بعض طلاب العلم، أو كان بجهد مفرد، الدعوة ونشر العلم هذا مسؤولية الجميع، وواجب علينا أن نرعى ذلك أتم الرعاية، وإنما هذا الأمر الإداري هو تعاون، لكي يكون المسؤولية واضحة ومحددة.

أما الأمر الإداري الثاني فإن وزارة الشؤون الإسلامية لا شك كأي جهة حكومية أو أي جهة فاعلة في الميدان لابد لها من أعمال تجعل التواصل بينها وبين المستفيدين من أعمالها كبيراً، ولذلك فإننا نروم إن شاء الله تعالى أن نتعدى بخدمات التوعية الإسلامية في الحج من كونها محدودة الزمان والمكان إلى أن تمتد إلى طول العام وأن تذهب أيضاً إلى دول كثيرة، ولهذا تعتزم إن شاء الله تعالى أن يكون هناك إنشاء قناة فضائية خاصة بالمناسك وتُشرف عليها هذه الوزارة، وأن يكون بثها بلغات مختلفة لكي يتحقق لنا نشر رسالة الإسلام عبر التعلق بالحرمين الشريفين.

أسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق والسداد، وأن يجعلنا وإياكم ممن هداهم الله وقبل هدايته، وأن يجعلنا من المتقين الأبرار وأن يغفر كثير ذنوبنا، إنه سبحانه جواد كريم.

وأسأل الله جل وعلا أن يثيب ولاة أمورنا خيراً، وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ويحقق لنا ولكم الآمال في رفع راية الإسلام، وفي نشره على رضا من الراضي، وغضب ممن يغضب، والله هو الذي وعدنا بذلك ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح].

فالذي شهد هو الله وسيتم ذلك لأن الله هو الذي شهد به.

ختاماً أشكر زملائي في وكالة الدعوة وكالة الوزارة لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد وللإخوة العالمين في الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج وجميع الإخوة العاملين معنا صغاراً وكباراً.

وأسأل الله جل وعلا أن لا يكلني وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .